الأمير سعيد بن الحكم القرشى أمير جزيرة منورقة فى الأندلس " شاعرا

خالد سليمان الخلفات (*)

الملخص

هذا البحث يهدف إلى الوقوف على شعر أمير جزيرة منورقة، إحدى جزر البليار فى الأندلس، والحديث عن فترة تاريخية، ازدهرت وتقدمت فيها فى المجالات كافة، وخاصة الأدبية فى القرن السابع الهجري، وهو سعيد بن الحكم القرشى، الذي حكمها من سنة 630ه إلى سنة 680ه، بعد سقوط دولة الموحدين، وعقد معاهدة صلح مع ملك قطلونية وأرغون، مقابل أن يدفع (إتاوة) مبلغا من المال سنويا له.

وفى هذه الفترة ازدهرت الحياة الأدبية فى هذه الجزيرة، وكان هذا الأمير شاعرا ومحبا للعلماء والشعراء، فاستقطبهم وشجعهم للوفود عليه، وخاصة من هرب منهم، حين سقطت المدن الأندلسية بيد الإسبان، فكان قصره مجالس للأدب والشعر، وزاره الكثير من الشعراء الأندلسيين، أما الأمير فكان شاعرا، نظم فى موضوعات عديدة، كالغزل والمدح والمديح النبوي والفخر والنقد السياسى، وغيرها من الموضوعات، وكان يجاري الشعراء، ويمدحهم ويتبادل الرسائل الشعرية معهم.

(*) أستاذ مشارك / جامعة الطفيلة التقنية – كلية الآداب – قسم اللغة العربية وآدابها /الأردن – الطفيلة

Poetry of Saeed Bin Al Hakam Al Qurashi Prince of Minorca

Khaled Suleiman Alkhalafat

Abstract

This paper explores the poetry of the prince of Minorca, one of the Balearic Islands in Al Andulus. During the 7th Hijri century, the island witnessed great developments in all fields including literature. Saeed Bin Al-Hakam ruled the island from 630 to 680 Hijri following the downfall of the monotheists' nation. The king of Catalunya and Aragon was forced to pay tribute and sign a peace treaty with prince Saeed.

Literary life flourished in Minorca during that period. Prince Saeed was a poet and a fancier of scientists and poets. He supported the scientists and poets who escaped following the downfall of Al Andalus. His palace was a salon for literature and poetry, which many Andalus poets visited. As a poet, prince Saeed wrote poems of such topics as love, eulogy, prophetic praise, pride and political criticism, among others. He used to befriend, praise and exchange poems with poets

الأمير سعيد بن الحكم القرشى حياته وسيرته

هو أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد بن حكم بن عبد العزيز بن حكم المعافريّ القرشىّ الطبيريّ[1]. ولد فى مدينة طبيرة، فى غرب الأندلس سنة601هـ/1205م، وعاش طفولته فيها، ثم تنقل بين المدن الأندلسية، واستقر فى إشبيلية، وتلقى علوم الفقه والرواية والتفسير على أيدي علمائها. بعدها رحل إلى المغرب، واستقر فى مدينة سبتة، وأخذ عن علمائها العلوم المختلفة، ثم انتقل إلى تونس، وبقى فيها فترة من الوقت، ومنها ذهب إلى جزيرة ميورقة، كبرى جزر البليار[2] فى شرق الأندلس، عند أميرها أبى يحيى التنملى، وقد سلمه أبو يحيى أمر جمع أموال الضرائب وأمر الأجناد فى جزيرة منورقة، فرحل إليها سنة 624هـ، فكانت له سيرة محمودة مع أهلها، فى حسن تعامله معهم ، واحترامه لهم، وبعد سنتين رجع إلى ميورقة، قبل سيطرة ملوك الإسبان عليها، فعاد مرة أخرى إلى منورقة أميرا عليها[3].

وجزيرة منورقة هي إحدى الجزائر الشرقية ــ كما يسميها العرب، أو جزر البليار، تقع هذه الجزيرة في منتصف المسافة بين ساحل فرنسا الجنوبي وساحل الجزائر، وعلى نفس خط عرض كل من لشبونة وبلنسية، ومنتصف جزيرة سردانية والطرف الجنوبي الغربي لإيطاليا، وهي على بعد (40) كم إلى الشمال الغربي من جزيرة ميورقة، ومتوسط عرضها حوالي (16) كم[4].

كان للفنيقيين دور في تعمير هذه الجزيرة، فعاصمة هذه الجزيرة (ماهون)، تحمل اسم القائد القرطاجنّي (ماجون)، ثم سماها الرومان بعد قضائهم على القرطاجيين سنة 123ق.م باسم(Pontos Magonis) ، وهي ماهون الحالية[5]. ومن أشهر مدنها بالإضافة إلى ماهون العاصمة مدينة (ثيودايلا Giudadela)، وهي تعني بالإسبانية (القصبة أو القلعة)، وهذه المدينة كانت عاصمة جزيرة منورقة في العصر الإسلامي، وسميت منورقة[6]على اسم الجزيرة. ثم أصبحت هي وبقية جزر البليار تابعة لمملكة دانية في عصر الطوائف، ثم حكمها الموحدون. وحين سقطت دولة الموحدين بيد الإسبان صارت جزيرة ميورقة تحت حكمهم، حينها ذهب الأمير سعيد بن الحكم إلى الملك الإسباني خايمي الأول ملك قطلونة وأرغون، ووقع معه معاهدة متاركة، يدفع سعيد بن الحكم إتاوة سنوية مبلغا من المال للملك الإسباني، مقابل ترك المسلمين في منورقة أحرارا، دون تدخل أو معاداة لهم أو تدخل في شؤون حكمهم، وقد أشار ابن الآبار إلى هذه المعاهدة، بأن الرئيس سعيد بن الحكم شارط الروم على متاركته، وبتّ مساكنته بإتاوة لم يخلّ بحملها إليه كل سنة، فامتد مَهَله، وحمدت سيرته، وكثر الانتفاع به في جزيرته، حتى يمّمت منتجعا، وصارت للمنقطع به مفزعا"[7].

فعاد سعيد بن الحكم إلى جزيرته أميرا كما كان، وقد عرف بسيرته

الحميدة مع أهلها، مذ كان مسؤولا عن الضرائب وأمر الأجناد فيها، اهتم برعايتهم واحترامهم، وأحسن إدارته للأمور، ووفر الأمن والاستقرار لهم، فأحبه أهلها، والتفوا حوله، ووقفوا إلى جانبه بعد المعاهدة. فضبط أمور الجزيرة كما يقول المراكشي: "أحسن ضبط، وسار فيه أعدل سيرة، واستقام أمر الثغر على يده، وهابه النصارى المصاقبين له، من كل جهة، فجرت أحوال المسلمين به على خير تام وصلاح عام، بحسن سياسته وجميل نظره، وصار مقصودا من البلاد النائية، مرغوبا فى لقائه، من أصناف الناس، فانتابه أهل العلم وطلبته من بلاد الأندلس وبر العدوة، فكان يحسن إليهم ".[8]

ويشير المقري إلى ذلك بقوله:"ولما استولى النصارى على ميورقة، ثار بجزيرة منورقة العادل أبو عثمان سعيد بن الحكم القرشى، وكان وإليها من قبل الوالى أبى يحيى المقتول فى ميورقة بعد احتلالها، وتصالح مع النصارى على ضريبة معلومة، واشترط أن لا يدخل جزيرة منورقة أحد من النصارى، وضبطها أحسن ضبط"[9].

وكانت علاقته طيبة مع الملك الإسبانى، مما ساعده على الانصراف بأمور إمارته، والاهتمام بها، اقتصاديا وعلميا وعمرانيا، ورعاية لمسيرة العلم والعلماء والأدباء، فى بيئة محيطة له غير آمنة ولا مستقرة، حروب وقتل وتشريد للمسلمين من المدن الأندلسية التى سقطت بأيدي الإسبان، ولهذا فقد هرب الكثير من هؤلاء من مدنهم، فاستقبلهم أمير منورقة، ووفر لهم الأمان، وبعث لهم السفن؛ لتنقلهم إليه، أو إلى أي بلد يريدون الرحيل إليها. يقول عنه ابن الخطيب وعن أعماله وسياسته: (تلون به الدهر ، وجال الأندلس ، وإفريقية برهة،ثم دخل جزيرة منورقة مشرفا بها، ثم نال بها الرياسة، لما افترقت الكلمة، واختل أمر الموحدين، وحسن بها تدبيره، وعلا قدره، وأعظمته الملوك، وكان بعيد الهمّة، اجتلابا لأهل العلم واصطناعا لهم، وافتكاكا لمن تحصّل منهم بيد العدو، ولديح حظ جزيل من رواية الحديث وقرض الشعر وحسن الخط، إلا أنه كان شديد القسوة والعقاب مستهينا بالدماء ، كان من سيرته أن يقتل الناس عقابا على شرب الخمر)[10]

ومن هؤلاء علماء وأدباء وكتاب وفقهاء، هربوا خائفين، وقد علموا بمكانة سعيد بن الحكم، واستقرار إمارته، فتوجهوا إليه، فاستقبلهم وكرمهم، ووجدوا عنده كل الرعاية والاهتمام، وكان قصره مجلس علم وأدب، يؤمه العلماء والفقهاء والأدباء. أما هو فقد كان عالما وفقيها وأديبا شاعرا، وهذا ساعده لتكون هذه المجالس مشهودة ومعروفة، وهو الأمير العربى القرشى الذواق للشعر الناقد له، المحب لكل شعراء قصره المقيمين فى بلاطه أو الراحلين إليه.

ولهذا فقد ازدهرت الحركة العلمية والفكرية والأدبية فى بلاطه؛ لرعايته للعلماء والأدباء، والاهتمام بشؤونهم ورعايته للمجالس العلمية والأدبية،

بما وفره من أمن واستقرار، انعكست آثاره على إنتاجهم الأدبي والعلمي، فألفت الكتب له في منورقة، وأرسلت إليه من خارجها، فقد كان محبا للكتب، جامعا لها، وكان يطلب من العلماء تأليف الكتب في كل المجالات، ويرسل العطايا والهبات لكل من ألف كتابا وأرسله له.

وبفضل ذلك صارت هذه الجزيرة مركزا تراثيا لحفظ تراث الأمة من الضياع، بعد أن سقطت المدن الأندلس بيد الإسبان، ودمرت دور العلم، وأحرقت بعض مكتباتها، وكان تجار الكتب من مسلمين ونصارى، يحملون نفائس الكتب والمخطوطات إليه، لمعرفتهم بحبه للكتب، وحبه لاقتنائها في مكتبات منورقة وخزائن قصره. ويشير المراكشي إلى ذلك بقوله: " وكان شديد العناية بجمع دفاتر العلم وأعلاق الكتب، حتى جمع منها ما لا نظير له كثرة وجودة، إذ كان مقصودا بها من المسلمين والنصارى، فكان يتخذّم بها إليه النصارى، كما يتقرب بها إليه المسلمون"[11]

كما يشير ابن سعيد إلى الهبات والعطايا ورسائل الشعر، التي كان يرسلها الأمير للمؤلفين ومصنفي الكتب من خارج الجزيرة مع رسله ومبعوثيه، فيقول: "وامتدت أياديه المشهورة في كل قاصٍ ودانٍ، فكم لقيت بأقطار المغرب والمشرق من أديب أو شاعر أو حسيب، خلع عنه ربْقة الإسار، ونقله إلى قرارة الإسلام عن محلّة الكفار، وكم سمعت أن أديبا أو غريبا أو سليبا خاطبه، يشكو انكسار حاله فجبره، وسرى إليه مستميح برّه ، خائضا البحر فأنشره ". [12] ومن هؤلاء أحمد بن محمد القيسي، المعروف بابن أبي حجة أحد كبار علماء قرطبه وفقهائها، هاجر من قرطبة إلى إشبيلية، ثم رحل منها إلى سبتة، فأسر هو وأهله، وحمل إلى منورقة، ففداه أهلها بهمة أميرها سعيد بن الحكم، وتوفي سنة 643هـ/1245م، وبقي أهله وأولاده في جزيرة منورقة، حيث تفقه أولاده على يدي علمائها.[13] وكذلك محمد بن علي العبدري الميورقي، الذي وقع في أسر الغزاة، عندما استولى الإسبان على جزيرة ميورقة، وأنقذه سعيد بن الحكم من الأسر، وأحضره إلى منورقة.[14] ومنهم أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، الذي ناشد الأمير سعيد بن الحكم، لإطلاق سراح إحدى أخواته، التي وقعت في الأسر مع أبنائها في أوريولة، بعد أن استولى خايمي الأول ملك قطلونية عليها، وسرعان ما لبى سعيد بن الحكم طلب النجدة كعادته، وأمر جنوده بالتوجه إلى ساحل قطلونية لإنقاذهم، وعاد بهم إلى منورقة، ثم نقلتهم سفينة من منورقة إلى بجاية، وكان ذلك سببا في تقدير أبي المطرف بن عميرة لهذا الأمير، فخصه بقصائده ورسائله الشعرية[15]. ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإشبيلي، الذي أقام في بلاط سعيد بن الحكم ومدحه، بقصائده وموشحاته، ثم ترك منورقة، وغادرها إلى تونس، وركب سفينة رومية، ولكن مركبا حربيا روميا، اعترضه، وهاجم السفينة التي تحمل ابن سهل، فلما علم ابن الحكم بذلك، توجه إلى البحر،

وأنقذه منهم ، وعاد إلى منورقة ولم يسافر.

ولم يكن سعيد بن الحكم عالما وأديبا شاعرا فقط، بل كان مهتما بإدارة إمارته في هذه الجزيرة، مستفيدا مما فيها من خيرات، فجعلها جزيرة مزدهرة، اقتصاديا وزراعيا وصناعيا وتجاريا، وقد ساعده على ذلك، موقعها الإستراتيجي الذي كان يربط الأندلس بالشرق والممالك الإسبانية المصاقبة لها، وقد أدى هذا كله إلى اكتفاء أهل هذه الجزيرة بما لديهم من خيرات وإنتاج، على الرغم من زيادة عدد سكانها وتكاثرهم، نظرا لكثرة الوافدين إليها من بلاد الأندلس وإفريقية نتيجة الحروب، والرعاية التي كانوا يلقونها من أميرها سعيد بن الحكم، والأمن والاستقرار، الذي نعمت به هذه الجزيرة طيلة خمسين عاما في ظل الأسرة الحكمية، فانتشر فيها العمران وازدهرت التجارة، وأصبحت هذه الجزيرة في عهده المعبر، لنقل البضائع بين البلاد الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط والممالك المسيحية[16]. وقد استمر حكمه فيها من 630ه إلى سنة 680ه، بعدها انتقل الحكم إلى ابنه الحكم، واستمر حكمه لها مدة 5 سنوات، إذ تأزمت العلاقات ملك قطلونية وأرغون، فسقطت منورقة بأيدي الصليبين بقيادة الفونسو الثالث، ملك قطلونية وأرغون سنة 685هـ/1287م.[17]

الأدب فى منورقة

كانت فى قصر الأمير تعقد المجالس الأدبية والشعرية والعلمية، واشترك فيها كل العلماء والأدباء المقيمين والوافدين إليها من كل مكان، وهم الباحثون عن بيئة آمنة مستقرة، فوجدوها فى هذا القصر. فتوجهوا إلى سعيد، فمدحوه وجالسوه، وساجلهم وعارضهم شعرا، وعارضوه، ومن لم يستطع الوصول إليه، أرسل له رسائل شعرية فى مدحه، وذكر خصاله، كما سمعوها، وما وصلهم من أخباره ورعايته وحبه للشعر والشعراء،وهو مقابل ذلك لم يبخل على أحد، فأعطى ووهب، ومع العطايا كان يرسل القصائد الشعرية مع مبعوثيه، تتضمن شكره ومحبته لكل من مدحه وذكر فضله.

ولهذا فقد كان شاعرا يجاري شعراء عصره ويباريهم، وينقد شعرهم وشعر غيرهم، ويعارضهم ويطلب منهم معارضته، ويساجلهم فى الشعر ويتسابقون فى الرد على ما يقول. ونظم شعرا فى معظم الموضوعات، حيث لم يترك بابا من أبواب الشعر إلا طرقه[18]. وقد ذكر المراكشى أنه رأى من شعره، مجلدا جيدا يكون أشفّ من ديوان المتنبي أو نحوه، بخط ابنه حكم رحمه الله.[19]

ولكثرة الشعراء الذين مدحوه، وراسلوه بقصائدهم المدحية، فقد جمع بعض أدباء منورقة من رجال حاشيته ما كتب من مدائح، وما وصلته من رسائل(الإخوانيات)، بالإضافة إلى رسائله الإخوانية، وما تضمنته من قصائد رائعة في كتاب، سموه(كتاب لباب الألباب من نظم الشعراء ونثر الكتاب)[20]،

وأشار إلى ذلك، ابن عبد الملك المراكشي بقوله:" ولقد عني بعض خواصه، بجمع المستجاد من مخاطبتهم إياه، فتحصّل منها ديوان كبير في ثلاثة أسفار ضخمة"[21]

لقد كثر الأدباء الذين وفدوا على هذه الجزيرة، فقد "استرقهم بإعتاقهم، فنوهت بصنيعه أمداحهم، وآخرون ركبوا إليه ثبج البحر، ففازت بجميل اصطناعه قداحهم، وبالجملة فالجود المحض صناعته، والأدب الغض بضاعته"[22]. ومن هؤلاء الأدباء والشعراء، محمد بن نجْوت الحجري، المعروف بابن يامن[23]، والأديب والمؤرخ أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن الأبار القضاعي البلنسي،[24] وأبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي [25].وأبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإشبيلي[26]، كما اتصل به المؤرخ والأديب علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد المغربي[27]، واتصل به أيضا ومدحه، أبو عبدالله محمد بن خطاب الجياني[28]، وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن الجلاب الفهري[29]. كما انتقل إلى بلاطه بمنورقة، أبو بكر محمد بن العوام الإشبيلي[30]. وغيرهم.

وكان هؤلاء الشعراء على علاقة وثيقة مع سعيد بن الحكم، سواء بزيارته والإقامة عنده، أو بمراسلته شعريا، وكان من هؤلاء الشعراء من هم مقيمون في جزيرة منورقة، ويخدمون في بلاط أميرها سعيد بن الحكم، وكانوا كتابا في الدولة، ومنهم الوافدون إليه، ومنهم من راسل سعيد بن الحكم، وخصوه برسائل شعرية مدحية، وربما لم يصلوا إلى جزيرته.

الأمير سعيد بن الحكم شاعرا

تعددت الأغراض الشعرية التى نظم فيها سعيد قصائده وأشعاره، حيث لم يترك بابا من أبواب الشعر إلا طرقه ونظم فيه، كما مر معنا، فقد نظم فى المدح والرثاء والغزل والفخر ونظم شعرا فى مدح الرسول عليه السلام، ونظم شعرا فى النقد السياسى، وانتقد سياسة حكام عصره، ونظم إجازات علمية شعرا، لطلاب العلم يجيز لهم رواية مروياته وعلومه؛ ليعلموها لتلاميذهم مستقبلا، كما كان يقول الشعر، ويطلب من الشعراء فى مجلسه إجازته، وكان يدخل مع الشعراء فى مساجلات شعرية، يحاورهم شعرا ويحاورونه.

وقد اعترف معاصروه من شعراء وأدباء، بجودة شعره وكثرته، كما ذكرنا، وكانوا يرون فى شعره، الحكمة والرؤية الثاقبة لأحوال عصره. وله ملاحظات نقدية على شعر يرويه، أو يروى له، أو يسمعه. وأشار المؤرخ على بن سعيد، فى بيتين من الشعر، نظمهما إلى مكانته الشعرية، حين يقارنه بالحمدانيين فى حلب، وأميرهم سيف الدولة، وشاعره المتنبى، وأنه فى شعره يتفوق عليهم.

إنّما شعرُ الرَّئيس ابن حَكَمْ ... بدَعٌ من كلِّ فضْلٍ وحِكَمْ
لو بَنو حَمْدانَ أصْـــــــغَوْ ... حَمِدوا البحرَ الذي فيه انتظمْ[31]

أغراض شعره

أولا: الغزل

نظم الأمير سعيد بن الحكم في الغزل، وغلب على شعره الغزلي، أنه كان مقطوعات قصيرة، وجاءت مقطوعاته الغزلية غزلا عفيفا، بعيدا عن الوقوف على محاسن المرأة الحسية، كما كان له رأيه في الغزل والهوى والحب، ونلمح هذا الرأي في معارضاته أو تعليقاته على ما يسمع من شعر، أو يصل إليه من خلال الرسائل الشعرية، فقد أنشد بين يديه يوما قول أحد الشعراء:

وحقها إنها جفونٌ تُسلُّ منها الجفونُ
لأركبنَّ الهوى إليها يكون في ذاك ما يكونُ
لا صبر عنها ولا إليـــها الموت من بعـــدها يكونُ

فعلق سعيد بن الحكم على هذه المقطوعة بقوله:

مَن لم يجد للهوى بنفسٍ نفيســـــةٍ إنّه ظنينُ[32]

وهو في مقطوعة أخرى، يتحدث عن الحب، ويرى أنّ الحب الحقيقي هو ما لا تستطيع الوصول إليه، ولمثل هذا الحب الطاعة والانقياد، ومن حق المحب الإمعان فيه، وسيبقى هائما محبا غارقا في الهوى ما دام على قيد الحياة، يقول:

الحبُّ ما لا يُــستطاعُ ولأمرِهِ الأمرُ المُطاعْ
حــقٌّ على مثلــيَ أنْ يُمْعِنَ فيهِ ما استطاعْ
يــدايَ طولى في الهوا وباعِيَ الباعُ الوساعْ
فهمْـــتُ ما دُمْتُ ولا سَلَوْتُ ما خطوْتُ باعْ[33]

ومن شعره الغزلي هذه الأبيات، التي يتغزل فيها بفتاة، إذ يبدأ بذكر جمال اسمها، رغم عدم بوحه به، ويعد ذلك عين العفاف في العلاقة بين المحب والحبيبة، ثم يعتبرها رمزا للخير، المتمثل بالمطر حين يمر بدارها، وعلى عادة الشعراء القدامى في غزلهم، فهم يبكون عند غياب المحبوبة وفراقها، معبرين بذلك عن شوقهم إليها، وهي فتاة كالمهاة، جمالا وبهاءً، وجمالها الحقيقي تراه في جمال وجهها، فهي ليست بحاجة إلى الزينة والتجمل بالحليّ، فثغرها سرّ جمالها، وسرُّ جمال الغصون، كما يقول، فيما تحمل من أزهار ونوّار، يقول:

إنّي لأكْلَفُ باسْمِها كَلَفي بها فانظر فهذا للعفاف شعارُ
وإذا أمرُّ بدارها فكأنّها قد درَّ فيها الوابلُ المِدْرارُ

غابت فأبكي بعدها شوقا لها والشمسُ تَهْمُلُ بعدها الأمطارُ
تالله ما لمحت جفونى مُذْ نأتْ نورا وهل بعد المهاةِ نهارُ
بيضاء تحسب أنها من فـــضّةٍ في الــخدّ منـــها للحياء نُضارُ
مالت معاطفُها ولان حديثها أيكون عن خمر الجَفون خُمارُ
لو لمْ تُحَلَّ لكان حَلّيا ثغرها إنَّ الغصون حُلِيُّـــــها النُّوّارُ
تخشى البريّةُ مقلتَيْها غيرَها أيهابُ سورة نبـــله الأسْوارُ[34]

ومن شعره متحدثا عن الهوى، وهو يرى أنه يصعب على المحب العاشق، أن يخفي عشقه وهيامه، فالدموع تكشفه وتفضحه، حتى لو حاولنا إضماره، والدليل على ذلك أن الغصن الأخضر حين يحترق، تنزل قطرات الماء منه،وهو صورة جميلة فطن إليها الأمير، وجعلها هنا حجة وبرهانها على صحة المعنى عنده، ثم يستحضر شخصيات تاريخية، عرفت بغزلها، هي شخصية قيس بن الملوح وليلى، ويرى أن نهاية هذا الهوى هو الموت، كما هي نهاية المحبين عبر التاريخ، ولا يخلو هذا الحب في النهاية من العتاب ثم الرضا، بعد ذلك كله، بين المحبين، يقول:

أما الهوى فسجيتي إضمارُهُ لولا الدموعُ لما فشَتْ أسْرارُهُ
ما عيل بالكتمان صبري إنما عَظُمَ الغرامُ فضاق عنه قرارُهُ
ينهلُّ دمعي ما تُشَبُّ جوانحي والغصن يَنْدَى إذ تأجَّجَ نارُهُ
جمحت جيادُ الحبِّ بي حتى أتت مضمارَ قيسٍ والرَّدى مضمارُهُ
لله غصنٌ ناعمٌ قلبي له مثوى غدا برداً عليه أوارُهُ
أظمأتُهُ بالعتْب ثم سقيتُهُ دمعي فأصبح والرضا إثمارُهُ[35]

ومن شعره في وصف جارية صغيرة جميلة، تحمل في يدها نوّارة، فيحتار في تحديد من الأجمل، الجارية أم النّوّارة التي في يدها، يقول:

نُوّارةٌ تحملُ نُوّارةً أبَهتَني أيُّهما أبهجُ
كأنّها في كفّها شمعةٌ خضراءُ لكنْ رأسُها

وفي مقطوعة غزلية، قالها أيام صباه، يتحدث فيها عن امرأة جميلة مرّت به، وكان زوجها شرطيا، حيث يوظف هذا الزوج في الصورة والمعنى الذي يتحدث عنه، كما يستحضر المعاني الدينية الواردة في القرآن الكريم، في حديثه عن النار، وخازنها مالك، وعلى أساس المفارقة يبني الصورة الجميلة لهذه المرأة، التي صار حظها ونصيبها هذا الشرطيّ، حين شبهه بمالك خازن النار، فكيف يلتقي الضدان؟ الجنة، وهي هذه المحبوبة الجميلة، والنار المتمثلة في خازنها هذا الشرطي، ثم هو يسجد مطيعا ذليلا في محراب هذه المرأة لجمالها، ولكن كيف يكون ذلك متحققا، ونظراتها كالسيوف، وشعرها كالليل سوادا، ويبين عجزه عن القدرة في الوصول إليها، رغم أنه سلك كل الطرق لذلك، لكن دون

فائدة، ولم يكن هذا طبعه، فالفتاة هذه استطاعت تغيير طبعه، يقول:

وجنّةٍ خـــازنُها مـــــالِكٌ ... يا ليتَني كنْتُ لـــــها مالِكا
أسْجُدُ في مِحْرابِـــــها سَجْدةً ... تُسْكِا ومثلي لم يزلْ ناسكا
وكيْفَ أرْجُو القُرْبَ منها وقدْ ... أضْحى حُساماً لحظُها فاتكا
يحرمُني من وَجْنَتَيْهـــــــا ما بدا ... روضاً غَدا من أدْمُعي
إنَّ أمانيّ الفتى ضـــــــــــلّةٌ ... يُمْنى بها حتى يُرَى هالكا
مَنْ لي بها شمْسُ الضُّحى أطْلَعَتْ ... جُنْحَ دُجىً من شعرِها
سلكـــــــــتُ سُبْلَ الغَيّ في حبِّها ... ولمْ أكنْ قبلُ لها سَالكا[37]

ثانيا:المدح

كان المديح من الأغراض الشعرية، التي نظم فيها ابن الحكم بعض المقطوعات الشعرية، فربما يكون هذا الشعر في مدح عالم أو أديب، نظم قصائد في مدحه، أو ألف كتابا أهداه له، كما مر معنا، وربما يكون المدح في أمير من الأمراء، ومن ذلك هذان البيتان في مدح أمير الحفصيين بتونس، وقد ختم بهما رسالة أرسلها إليه يقول، فيهما:

يا أميرَ المـــؤمنينا ... وإمـــــامَ العالمينا
نحنُ ما دمتَ بخيرٍ ... لا تزلْ في الدائمينا
أمَّن اللهُ بـــك الـــ ... ـخــائِفَ آمينا آمينا[38]

ومن ذلك أيضا ما يقوله من شعر في مواقف تقع في حضرته وبين يديه، فقد كان الفقيه والأديب ابن مفوّز جالسا بين يدي سعيد بن الحكم في مجلسه بمنورقة، فذكر الرئيس شيئا أوجب قيامه لقصره، فاعتذر ابن مفوز عن طول جلوسه، وانفصل، فكتب سعيد بن الحكم له:

يا ضيفَنا النَّدْبَ النَّبيه َالنبيلَ ... رأيْكَ لما ضِقْتَنا لا يفيلْ
لئن خَفَفْنا في الذي تبتغي ... فليــسَ من حقّك شيءٌ ثقيلْ

فكتب إليه ابن مفوِّز:

ما أشبهَ القولَ بمَنْ قالهُ ... يُبينُ عِتْقَ الطَّرْفِ حُسْنُ الصَّهيلْ
إنْ راعَنَا الدَّهْرُ بعضّاته ... أو راقَنَا الخَطْبُ بوَطْءٍ ثقيلْ
فحسبُنَا أنْتَ للزْباتِهِ ... وحســــــــــبُنَا اللهُ ونعمَ الوكيلْ[39]

ويظهر من شعره هذا مدى اهتمامه بل إعجابه بما يؤلف من كتب، كانت تهدى إليه من مؤلفيها، لأنهم كانوا يعرفون مكانته العلمية، ونبوغه في الكثير من العلوم، كعلم القراءات والتفسير والرواية الحديث والأدب والشعر، حتى علوم الطب كان له نصيب فيها. وكان يعبر عن إعجابه بهذا الكتاب أو ذلك، ومنهج مؤلفه فيه، أحيانا بالتوقيعات الشعرية، أو من خلال مقطوعات

شعرية، ومن ذلك ما ذكره ابنه الحكم بقوله: "كتب سيدي ومولاي أبي رضي الله عنه إلى الفقيه الكاتب أبي عبدالله القضاعي، رحمه الله، مؤلف هذا المعجم (المعجم في أصحاب القاضي الصدفي)، لمّا بعث به إليه أبياتا من نظمه، هي:

يا طولَ فخـــرٍ قُضَاعَةٍ بأخيها ... ما أفادَ من الـــــعلوم بَنيها
أهدَى إليـــهم منْ نتائج فِكْـرِهِ ... حُللا يحلَّى بالهُـدى مُـهْديها
فالأربعـــونَ الأربعينـياتِ قد ... شـــهدَ الجميعُ له بفضلٍ فيها
وأبانَ في التـــاريخ كلَّ هدايةٍ ... ظـــلَّ الزمان ضلالة يخفيها
فبوصل تَكْمِلةٍ إلى الصِّلةِ اغْتَدى ... يُـــدْعى قليلاً في الأنام بَنيها
وبمعجمٍ لصحابةِ الصّـدَفيِّ صا ... دَفَ غرة قد صافَ من يرميها
فبحقّه يُدْعى أبـــو عبدِ الإله ... مـــــؤرّخاً ومحدّثا وفقيها
وإذا جيادٌ للكنـــايةِ أُجْرِيَتْ ... لـــم يُجْرَ إلا لاحقا ووجيها[40]

وعندما وصلت هذه الأبيات إلى ابن الأبار، نظم قصيدته الشعرية التي يمدح بها الأمير سعيد بن الحكم، ومطلعها:

تلكَ الجزيرةُ أقبلتْ تَثْويها ... سُحُبٌ تَنال بسَقْيها تنويها[41]

ومن ذلك مدحه لابن يامن، شاعره المقرب إليه، وقد قضى معظم حياته في منورقة، لكنه يضطر للرحيل إلى تونس، ومن هناك يكتب رسالة شعرية إلى الأمير، منها قوله:

سلامٌ وإنْ كانَ الوداعُ حقيقة ... ولكنْ أورِّي بالسَّلام تعُللا
وددتُ وحُلْوُ العيش أشْهى لبابة ... لو أنِّي بِمرٍّ العيش أقدي

ويقول سعيد بن الحكم شعرا، يؤكد فيه هذه العلاقة الرفيعة التي ربطته به، ليس كشاعر في بلاطه وقصره، بل كصديق مقرب إليه، حيث يعز على الأمير أن يقيم في منورقة، ويرحل عنها هذا الصديق الشاعر ابن يامن، والألم الحقيقي هو هذا البعد:

عزيزٌ علينا أن نُقيمَ وَتَرْحلا ... ونختطُّ شقَّ الشَّوْق بعدَكَ مَنْزلا
وليسَ ببينٍ ما جَرَى من مَودّةٍ ... ألا إنَّمَا البينُ الذي جَرّه القِلى [43]

ثالثا: المديح النبوي

للمديح النبوي في شعر سعيد بن الحكم نصيب، وخاصة قصيدة التبرك بالأثر، أو ما يسمى، تمثال أو مثال نعل الرسول عليه السلام، التي عرفت في الأندلس، وهي" تلك المقطعات والقصائد المنظومة في تمثال نعل الرسول عليه الصلاة والسلام، تعزيزا وتقديرا لهذا الأثر النبوي "[44].

ومثال نعل النبي هذا هو تجويف في بعض الأحجار، يزعم بعض الناس أن قدم الرسول عليه السلام قد غاصت فيه، فتركت هذا الأثر المجوف،

وقد ورد رسم لهذا التجويف في كتاب أزهار الرياض[45]، وهذه القصيدة هي إحدى قصائد المديح النبوي، التي عرفت في عصر الموحدين، واستمرت هذه القصائد فيما بعد، وازداد الاهتمام بها، وعارض الشعراء بعضهم البعض فيها، خاصة حين تشتهر هذه القصيدة أو تلك.

وقد أشار المقري إلى هذا النوع من الشعر، بقوله: " وقد اعتنى الناس والأئمة بتمثال النعل الكريمة، وحق على كل مؤمن أن يفلى لمشاهدتها الفلا، فإذا شاهدها قبلها ألفا وألفا، وتوسّل بصاحبها إلى الله الكريم زلفى، ولثم ثراها لثما، وجعلها فوق رأسه تاجا، واستغنى بالتوسل عن لبسها، فلم يك إلى غابر الدهر محتاجا"[46].

وقد نظم الشعراء الأندلسيون مثل هذه القصائد، تقربا وتوددا للرسول عليه الصلاة والسلام، وخاصة في ظل الظروف السياسية والعسكرية، من سقوط للمدن وحروب يشنّها الأعداء على المسلمين، وللأمير سعيد بن الحكم مقطوعة في مثال نعل النبي عليه الصلاة والسلام، يقول فيها:

برأسي مِـثـالٌ لنَعْلِ القدَمْ ... ألا بَلْ مِثالٌ لنَعـلِ الكَـرَمْ

مثـــالٌ لنعل نبيِّ الهُدى ... حـَذَتْهُ ثِقـــاتٌ فما تُتّـَهَمْ

وجـــاءوا به مُعْلَنا مُعْلما ... بأفضل ما هيـــئةٍ للقـدَمْ

وما أن يَزال مـتى مـا بدا ... لغير امريء مسلـمٍ مُسـتلمْ

فلثمي له ممـــعن مُـــنعم ... وذلك عندي ألـــدُّ النِّعمْ

ويُشـــرق أُفقـــي إذا بان ... وإن بـــان عنّي عَرَتْه ظُلَمْ

أُلســـتُ لما قد حَذَوْه عليه ... مَشوقاً وما الشّـوْقُ إلا ألمْ

وليس الشّفاءُ سوى أن أرى ... بمـــوطئه ألثُمُ التُّربَ لثْمْ

هناك وجـــودُ فؤادي هوى ... وجسمـــيَ ثاوٍ هنا كالعدَمْ[47]

رابعا: الفخر بالنفس

وظف الأمير سعيد بن الحكم شعره هذا في التعبير عن مكنونات شخصيته، ويمكن من خلال شعره فهم شخصيته، بما يذكر من الصفات التي افتخر بها، من شجاعة وعدل وكرم وأمانة، وغيرها من الصفات التقليدية لكل أمير أو قائد عسكري، وقد ظهرت صفات مشتركة في شعره هذا، مع ما ورد من صفات، ذكرها الشعراء الذين مدحوه في شعرهم، فقد افتخر سعيد بصفات الكرم والجود والأمر بالمعروف وتقديم الخير للناس، وفي هذه الأبيات يحرص على تقديم الخير لكل من يريد، وهو يأمر الآخرين أن لا يمنعوا المعروف، وألا يحولوا دون وصوله إلى الناس، فالناس فريقان، فريق يقدم المعروف، دون أن يعرف الآخرون ذلك، فيترفع وينتزه بنفسه عن البوح بذكر اسمه أو الإشارة إليه، وهو

من هذا الفريق، وفريق آخر يبوح بذلك، يقول:

لا تمنعِ المعروفَ يو ماً مُعرضا ومُعرِّضا
فكلاهما من حـــقّه فيه له أن يُقْرَضا
هذا تنزّهَ فاستحـــقَّ على نزاهتِهِ الرّضى
والآخُر استحيى من التصريح فيه فعرَّضا
هذا الذي ما زلتُ أو أقولُ ـلُ

كما افتخر بصفة الكرم والجود، وهي صفة أكثر الشعراء من ذكرها فيه، وله رؤيته في الكرم والبخل، وكنز المال وجمعه وعدم إنفاقه، حيث يؤكد في هذين البيتين، وبصورة فنية جميلة قيمة الإنفاق، فيشبّه الممسك والمعطي بالغصن، الذي يضعف من كثرة الورق، الذي يحمله، أما إذا أسقطنا بعض ما يحمل من ورق، فإنه يزداد قوة، وهي صورة جميلة فيها إحساس بالحركة،والمنظر الجميل، يقول:

من يمسكِ المالَ بخْلا لا مساكَ لهُ ومن يفرِّقْهُ جوداً كنتُ من فرقهْ
لا تَشْدُدَنْ ورَقا للضَّعف تحْذَرَهُ فالغُصْنُ يقوى إذا خففتَ من وَرَقِهْ[49]

وهذان البيتان جاءا جوابا على رسالة أرسلها ابن يامن، يقول فيها:

أنفقْ من المال ما أتاكَ مكسَبُهُ ولا تصدّنَّهُ ما جارض عن
فالمالُ كالماءِ إن سدّت مسائِلُهُ فجارُ غمرتِهِ لا بدَّ من غرَقِهِ[50]

ويظهر في شعر الفخر افتخاره بإقامة حدود الله، والحرص على الدين، والحفاظ على الشريعة بحيث لا تمسّ، ويتجلى ذلك في قصته مع الشاعر ابن العوام الإشبيلي، الذي لم يتمكن من شرب الخمر في شهر رمضان، وقد كان مدمنا عليه، فكتب إلى سعيد هذه الأبيات في ليلة القدر، طالبا أن يسمح له أن يشرب الخمر، ويشبهها بالفتاة التي قدم ليخطبها، يقول:

أيا مسكة دارين وريحانَ الرياحين
ومأوى كلِّ مضطرٍّ لدنياهُ وللدين
عُبيدُكم أتَى في خِطْـ ـبَةِ بنتِ الرياحين[51]

فيرد عليه سعيد بن الحكم، ويذكره بحكم شرب الخمر، وهو المتشدد في إقامة الحدود، وتحديدا حد شرب الخمر بل المبالغة فيه[52]، ويذكر هذا الشاعر الأمير أن لرمضان حرمة، وكذلك لكل الشهور، وهناك شروط لعقد الزواج والخطبة، وهناك أركان يجب أن تكون، وهناك وصي، يأذن بالزواج وهو أنا، ولا أرى إلا الجلد ثمانين جلدة، يقول:

أتى من يـــابس الدِّين نظـامٌ ليس بالدّون
يرودُ نكـــاحَ بكْرٍ من بُنَيّـات الـزّراجين
وفي رمضانَ غابَ وليُّـ ـها بيـنَ الشَّياطين

وشـــــــــوّالٌ يؤوبُ بهِ فيـنكِحُها على الحينِ
وقـــــــدْرُ المَهْرِ مُحتاجٌ إلى تقـــــــويمِ تَعْيينِ
وإنّي للـــــــوصيِّ ولا أرى غـيرَ الثَّمانين[53]

كما يفتخر ابن الحكم بصفة الصداقة والحفاظ على العلاقة الطيبة التي تربطه بالآخرين، وهو يبين منهجه في اختيار أصدقائه، ومن يجالس من الناس فلسفته في الحكم، وإدارة الدولة وحمايتها من الفساد، فيتحدث عن ظاهرة الفساد في المجتمع، وخاصة عند وصولها إلى مؤسسة الحكم، فيعلن منهجه في محاربتها، حتى يستأصلها من جذورها، وقد ساعد هذا النهج على قيام هذه الإمارة في منورقة، في ظروف سياسية وعسكرية صعبة، لكنها استمرت لأكثر من خمسين عاما، يقول ابن الحكم، في هذين البيتين:

هِمَّتي في هذِهِ الدُّنـــــيَا لبَيْبٌ أصْطفيهِ
وفسادٌ لستُ أبْقيـــــهِ وخيرٌ أقتفيهِ[54]

كما عرف بتواضعه مع أصدقائه ومحبيه، وخاصة مع الشعراء الذين كانوا يفدون عليه في قصره بمنورقة، وحين يضطرون للمغادرة، يبقى على اتصال بهم، يخصونه بمدائحهم في رسائل يبعثونها، ويخصهم بكل تواضع في ردود على رسائلهم، معبرا عن حبه وشوقه لهم، فالعلاقة ليست علاقة حاكم بمحكوم، وأمير بشاعر، إنها علاقة صداقة، ملؤها التواضع والاحترام، لكل واحد فيهم، فعندما اضطر ابن يامن إلى مغادرة منورقة، وقد استأذن أميرها كتب قصيدة مستأذنا، ويجيبه سعيد بن الحكم شعرا، يؤكد فيه هذه العلاقة الرفيعة، التي ربطته به، ليس كشاعر في بلاطه وقصره، ولكن كصديق مقرب إليه، فيعز على الأمير أن يقيم ويبقى في منورقة، ويرحل عنها هذا الصديق الشاعر ابن يامن، والألم الحقيقي هو هذا البعد، بعد هذه المودة والصداقة التي جمعتهما، يقول:

عزيزٌ علينا أن نقيمَ وترْحَلا ونختطُّ شوّقَ الشَّوْق بعدَكَ منزلا
وليس بيَيْنِ ما جَرى من مودّةٍ ألا إنما البَيْنُ الذي جرَّهُ القِلى[55]

كما ظهر تواضعه في علاقته بعلي بن موسى، صاحب كتاب القدح المعلى، حين عبّر عن إعجابه بشعره وجميل قوله، فقال مقطوعة جميلة عبر فيها بتواضع الأمير المحب للشعراء عن جمال شعر هذا الشاعر، فقال:

ما رأيْنَا كعليِّ بن موسى يَستبي بالشِّعْر منّا النُّفوسا
قد أرانَا الشِّعرَ سِحْرا حَلالا سائِغاً لو نحتَسيهِ كُؤُوسا
إنّ أبياتَ عليٍّ على الشِّعْـــرِ عَلتْ حتَّى تجلّت

خامسا: النقد السياسي

يرتبط بنظام الحكم ورؤيته فيه نقده السياسي اللاذع للحكام من حوله، هؤلاء الحكام الذين أصبحوا عبيدا للشهوات والبحث عن الملذات، وهو يركز

على قضية مهمة، كانت تشغل الناس جميعا في الأندلس، هي هؤلاء الأمراء الموالي، وهم من غير العرب، الذين ظهروا بعد سقوط الخلافة في الأندلس في نهاية القرن الرابع الهجري، وقيام دول الطوائف، ومن حكام هذه الدول من لم يكن عربيا، فكان من الموالي والصقالبة وغيرهم، فهؤلاء الأمراء الذين ينتقدهم الشاعر الأمير، هم هؤلاء الموالي الذين غرقوا في الشهوات والملذات، في الوقت الذي يجب عليهم أن يكونوا على قدر من المسؤولية لمواجهة الأعداء، إن هؤلاء من قاد الأمة إلى الهلاك، وتمنى الشاعر لو مر هؤلاء مع السنوات وأهلكوا، ليتخلص الناس منهم، وتكمن أهمية هذا النقد، لأنه صدر عن" شاعر هو نفسه حاكم، له معرفة بطبيعة نفوس أصحاب السلطة، في تكالبهم على المتع والملذات"[57]. ويحذر هؤلاء من هذا الفساد؛ لأننا في هذا المكان، قاب قوسين أو أدنى من الأعداء، الذين يحيطون بنا في هذا البحر من كل جانب، يقول:

إنّي لأعْجَبُ مِنْ مُلوكٍ أصْبَحُوا ... وَهُمٌ مَوالٍ أعْبُدُ الشّـــهَواتِ
الأطْيَـبانِ مَرادُهم ومُرادُهـــم ... أرب الفروج وإربــة اللهَواتِ
لو وُقّفُوا وقفوا اجتمــاعَهُمُ على ... نقّى الهوى فضلا عن الخَلَوات
مــرّتْ سنونٌ وهم مِلاكٌ للورى ... يا ليتهم مروا مع الســـــنوات
مـــــا نحن إلا في فلاة للورى ... فلتُحذر الشهواتُ في الفلوات[58]

سادسا:موضوعات أخرى

1.الإجازات العلمية

كان الأمير سعيد بن الحكم عالما وفقيها وأديبا، ولذلك حرص على العلم وتعلمه ونقله لتلامذة العلم، وتمثل ذلك في كتابة إجازات علمية لتلامذة العلم، في رواية ما عنده من علوم وروايات للحديث النبوي، وكل ما لديه من محفوظات في سائر العلوم ضمن إجازة عامة، يكتبها شعرا، فيقدم هذه الإجازة، ليروي بها كل من أدرك زمانه، وهي إجازة تشمل كل ما عند ابن الحكم من شعر ونثر ومرويات وغير ذلك، يقول:

أبحْتُ لمدركي عَهْدي ... رواية كلَّ ما عندي
وما أبديتُ من نَظْمٍ ... ومن نَثْرٍ وما أبْدي
وما أقرئت أو أبرمــ ... ــتُ من هَزْلٍ ومن جَدِّ
وما نُوولْتُهُ وأحَز ... تُهُ فيزدادُ في العَدِّ
فإنَّ سعيداً الحَكَمِــ ... ــيِّ يَهْديهِ لمُسْتَهدِ
وتصحيحُ الّذي يَرْوِ ... ونَ عنّي غاية القَصْدِ
وباللهِ اعتمدتُ على ... أموري كلّها جَهْدي[59]

ويظهر في هذه الأبيات شيوع ظاهرة الإجازات العلمية النثرية والشعرية في الأندلس، التي كان العلماء يكتبونها لطالبيها من أهل العلم وطلابه، وتؤكد هذه

الإجازة الشعرية لابن الحكم الغاية التي يبتغيها المجيز من طالبي هذه الإجازة، وهي التصحيح والتدقيق والتصويب، وإذا كانت الإجازات في الأندلس قد استخدمت فيها لغة النثر كما هي في المشرق، فقد شاعت في الأندلس بلغة الشعر كما نلاحظ في هذه الإجازة.[60]

2.إجازات الشعر

كان سعيد بن الحكم ومن خلال مجالسه الأدبية في قصره، يلتقي الشعراء، ويستمع إليهم ويحاورهم، ونجده يقول شعرا، ويطلب من الشعراء حوله، أن يجيزوه أو ينظموا بيتا أو أكثر لقصيدة قيلت، ومن ذلك أنه ذُكِر بين يديه خبر المنصور بن علناس،[61] ملك الجزائر في عهد ملوك الطوائف، الذي قتل زوجته، وهي أخت ماخوخ الزناتي، الذي كانت بينها حرب، فهزمه الأخير، فدخل على زوجته كئيبا، فتلقته وعليها السرور والفرح بهزيمة أخيها له، فضربها بحربة كانت بيده فقتلها، وانتهى الخبر إلى تميم بن المعز، فقال:

لقد قتلَ المنصورُ للغيظِ عرسَهُ

ثم قال لأبي الحسن بن الخطيب، أجزْ: فقال

أتُجْزى بما تجني الدروعُ الغلائل

فأضاف الرئيس سعيد بن الحكم إليه:

رماها أخوها وهو حربٌ فقلّه وسلّماً رَمَتْهَا من يديه الغلائل[62]

وقد كان لابن الحكم نصيب في موشحات المديح الأندلسية، ويظهر ذلك في موشحة لابن سهل الإشبيلي، يمدح فيها سعيد بن الحكم، وجاءت هذه الموشحة بطلب إجازة من الأمير نفسه، حين نظم قفلا من موشح، قال فيه:

طَيْفٌ ألَمْ شَفَى ألَمْ شَوْقٌ هَجَمْ هَجْمَةَ الأسْدِ
كادَ يَبِيدْ مِنْهُ العَمِيدْ وَهَلْ يُفِيدْ ذاكَ أوْ يُجْدِي[63]

فطلب من ابن سهل أن يجيزه، فقال موشحته هذه، وجعلها في مدح الأمير، فوصفه بجملة من الصفات، فوجهه البدر في ليلة تمامه، وهو في كرمه وجوده الغيث المنهمر، الذي يحمل الخير إلى الأرض، وهو يقدم العطايا للناس، وهو الذي يعفو عن المسيء، وهو صاحب همة، وشيمه كثيرة معروفة، يقول:

ابْنُ حَكَمْ البَدْرُ تَمْ والغَيْثُ عَمْ هَادِياً مَهْدِي
رَدَىً مُبِيدْ حَيَاً مُفِيدْ كُلُّ الوُجُودْ مِنْهُ في فَرْدِ
مَلْكٌ بَعِيدٌ مَداهُ يَبْعَثُ عفواً نَداهُ
بَعْثَ الصَّبَاح سَنَاهُ أوِ النَّسِيمِ شَذَاهُ
نَائِي الهِمَمْ دانِي الكَرَمْ سَهْلُ الشِّيَمْ مُصْعَبُ المَجْدِ[64]

3.شعر في الكتب التي تؤلف

ويظهر من شعره هذا مدى اهتمامه، بل إعجابه بما يؤلف من كتب، وهي كتب كانت تهدى إليه من مؤلفيها، لأنهم كانوا يعرفون مكانته العلمية ونبوغه في الكثير من العلوم. وكان يعبر عن إعجابه بهذا الكتاب أو ذلك، ومنهج مؤلفه فيه أحيانا بالتوقيعات الشعرية، أو من خلال مقطوعات شعرية، ومن ذلك ما ذكره ابنه الحكم بقوله: " كتب سيدي ومولاي أبي، ــرضي الله عنه، إلى الفقيه الكاتب أبي عبد الله القضاعي، رحمه الله، مؤلف هذا المعجم(المعجم في أصحاب القاضي الصدفي) لما بعث به إليه أبياتا من نظمه، هي:

يا طولَ فخرِ قُضَاعَةٍ بأخيـــــها ما أفادَ من العلوم بَنيهـــــا
أهدَى إليهم منْ نتائج فِكـــــرْهِ حُلا يحلَّى بالهُدى مُهْديهـــا
فالأربعونَ الأربعينيـــــاتِ قد شهدَ الجميعُ له بفضـــلٍ فيها
وأبانَ فى التاريخ كلَّ هدايـــةٍ ظلَّ الزمان ضلالة يخفيهـــا
فبوصل تَكْمِلةٍ إلى الصِّلةِ اغْتَدى يُـــدْعى قليلاً في الأنام بَنيها
وبمعجمٍ لصحابةِ الصّـَدَفيِّ صا دَفَ غرة قد صافَ من يرميها
فبحـــــقِّه يُدْعى أبو عبدِ الإله مـــــــؤرّخاً ومحدّثا وفقيها
وإذا جـــــــيادٌ للكنايةِ أُجْرِيَتْ لم يُجـــرْ إلا لاحقا ووجيها[65]

وعندما وصلت هذه الأبيات إلى ابن الأبار، نظم قصيدته الشعرية التي يمدح بها الأمير سعيد بن الحكم، ومطلعها:

تلكَ الجزيرةُ أقبلتْ تَثْويها سُحُبٌ تَنال بسَقْيها تنويها[66]

4. ملاحظات نقدية في الشعر والكتب

كما كانت لسعيد بن الحكم آراؤه النقدية السريعة، فيما يقرأ من كتب أو يسمع من أشعار، فهو يقدم ملاحظاته النقدية المفيدة حول هذا الشعر أو ذاك، وهي ملاحظات تنبيء عن ملامح نقدية لديه، من ذلك هذا التوقيع الذي يدونه على كتاب استعاره، وبعد أن قرأه، وجد خللا فأصلحه، فيقول:

كتابُك هذا لم يزلْ في صيانةٍ كذاك بوجْهِ الحقِّ حكمُ الأمانةِ
فخُذهُ كما أعطيتُهُ غيرَ ما جرى به قلمُ الإصلاح بعدَ استبانةِ[67]

كما كان سعيد بن الحكم ناقدا للشعر، وله آراؤه في الشعر القديم، حينما كانت تنشد بعض القصائد بين يديه، ومن ذلك أنه ذكرت بين يديه قصيدة أبي نواس التي مطلعها:

جريتُ مع الصبا طلْقَ الجموح وهانَ عليَّ مأثورُ القبيح
ألَمْ ترني أبحتُ اللهوَ نفسي وعضّ مراشفَ الرّشأ المليح

فقال سعيد بن الحكم: الصدر لا يليق بالعجز، وأليق منه أن يقول:

فيا لله درّي من مبيح[68]

ومن ذلك أن الفقيه الكاتب أبا عبد الله محمد بن أحمد بن الجلاب الفهري، ينشد هذه المقطوعة لأحد الشعراء، يقول منها:

لا وحقّها إنّها جفونٌ تُسْتَلُّ من لحظِها المنونُ
لا صبرَ عنْها ولا عليها الموتُ من بعدها يهونُ
لأركبَنَّ الهَوى إليها يكونُ في ذاك مَا يكونُ[69]

ويُعجب سعيد بن الحكم بهذه الأبيات، ويعلق عليها بقوله:

مَنْ لمْ يَجُدْ للهَوى بنفسٍ نفيسةٍ إنّهُ ظنينُ[70]

ثم إن إعجابه بالشعر واستحسانه له ولقائله، هو ما كان يدفعه إلى تلبية حاجة قائله، كما فعل مع أحد كتّاب دولته، وقد طلب منه أن يعفيه من خطة المواريث، وجاء طلبه هذا شعرا، يقول فيه:

وما نلْتُ من شَغْلِ المواريثِ سوى شَرْح نعشٍ كلما مات ميّتُ
وأكتبُ للأموات صكّاً كأنّهُم يُخافُ عليهم في الجِنَابِ التَّقَلُّتِ
كأنّي لعِزْرائيلَ صِرْتُ مناقضاً بما هو يَمْحُو كلَّ يومٍ وأثبتُ[71]

وعندما سمعها سعيد استظرفها واستحسنها، وقرر إعفاءه من خطة المواريث.

الخلاصة

حاولت في هذا البحث دراسة شعر أمير جزيرة منورقة الأندلسية، سعيد بن الحكم القرشي، الذي كان شاعرا وعالما وفقيها، استطاع أن يستقطب العديد من شعراء الأندلس؛ ليكونوا في بلاطه وفي جزيرته. وصارت جزيرة منورقة عاصمة ثقافية وعلمية في القرن السابع الهجري، أمّها العلماء وأصحاب الفكر. وشجعهم على تأليف الكتب في مجالات متعددة، ومنحهم مقابلها العطايا والجوائز، وكان يشتري الكتب ويحفظها في خزائن قصره وساهم بذلك في حفظ التراث العربي والإسلامي في الفترة التي سقطت فيها الكثير من المدن الأندلسية بيد الإسبان.

وقد نظم سعيد بن الحكم شعرا في معظم الأغراض، من مدح وفخر وغزل ومديح نبوي ومساجلات شعرية ونقد سياسي واجتماعي، ووقف عند موضوعات أخرى، نظم شعره فيها كالإجازات العلمية ، التي كانت شائعة في الأندلس، حيث كتبها لطلاب العلم شعرا.

وكانت للأمير مراسلات شعرية، يرد فيها على شعراء من خارج جزيرة منورقة، أرسلوا له قصائد مدحية، ولم يصلوا إليه؛ لأنهم سمعوا عنه وعن مناقبه التي جعلت الشعراء يتوافدون عليه.

اغلب شعره كان مقطوعات قصيرة وأبيات في كل الموضوعات التي نظم فيها، ولذلك كان من الصعب على الباحث أن يدرس منهجه في بناء قصائده في الغزل أو المدح أو الفخر.وكان ميالا في شعر الغزل إلى الغزل العفيف، ولم ينظم في الغزل الصريح، حسب ما توفر لدي من شعر، وهذا طبيعي لشاعر أمير يعيش في فترة تتساقط فيها المدن الأندلسية مدينة مدينة، وتحيطه الأخطار من كل جانب.

وامتاز ما بين يدي من مقطوعات شعرية وأبيات له، بجملة من السمات كان من أهمها: العمق في المعاني ودلالاتها، واستخدامه لمفردات عصره، ولمعجم شعراء الأندلس وجمال طبيعتها، وكذلك وظف الصورة الحسية واللونية والحركية في تقريب المعاني، وخاصة في شعر الغزل والمديح والمديح النبوي، كذلك تمكن من توظيف النصوص القديمة واستحضار الشخصيات التاريخية في تعزيز مضامين شعره والمعاني التي يريدها.

الحواشي

الحواشي

1) طَبيرة: بلدة في جنوب غرب الاندلس. انظر ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2 ص318، حاشية رقم 1

2) أطلق اليونانيون والرومان اسم البليار على هذه الجزر التي تقع شرق الأندلس، وهذه الكلمة مأخوذة من كلمة (بالين Ballein) اليونانية، التي تعنى(ألقى أو رمى)، وعرف عن سكان جزر البليار القدماء براعتهم ومهارتهم في رمي الحجارة بالمقلاع. وبعضهم يرى أنها نسبة إلى إحدى القبائل كانت تعيش في جزيرة سردانية المجاورة لهذه الجزر، وتدعى (بالاري Balari)، وقد هاجرت هذه القبيلة إلى جزر البليار في العصر الحجري الحدي، وتدل الشواهد التاريخية الموجودة في جزيرة سردانية وجزر البليار على وجود تشابه وتماثل في الآثار التي تعود إلى ذلك العصر؛ أي العصر الحجري الحديث.جزر البليار دخلها المسلمون سنة 89هـ،على اختلاف في الروايات وكان دخولهم فاتحين لها بقيادة عبدالله بن موسى بن نصير ، وسميت غزوتهم لها بغزوة الأشراف لأنه كان معه أشرف الناس (انظر حول جزر البليار :القزويني ، آثار البلد وأخبار العباد ص 568، وكتاب الجغرافية ص 129،ومراصد الإطلاع ج3 ص1470،ونزهة المشتاق ج2ص 556، دائرة المعارف البستاني ، 1881م . ج 5 ، ص 149 ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج 3 ، ص 307. وعصام سالم سيسالم،جزر الأندلس المنسية (لتاريخ الإسلامي لجزر البليار)، دار العلم للملايين ،بيروت، ط1، 1984، ص 16، تاريخ خليفة بن خياط ص302 ، معجم البلدان ،ج5 ص424، صورة الأرض ص185 ، الروض المعطار ص 567).

3) انظر أخباره في: المغرب(ج2 ص469)،(القدح المعلى28-41) والوافي بالوفيات ج15 ص 212-213، الحلة السراء،ج318-320، الذيل والتكملة ج4 ص28-30، أعمال الأعلام ص275 -276، نفح الطيب ج4 ص 471-472، أزهار الرياض ج3، ص 215.218، الأعلام للزركلي، ج3ص93، تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ ج6 ص277. 283.وبغية الوعاة ص 583-584

(4) انظر: جزر الأندلس المنسية ص25

(5) انظر: دائرة المعارف الأمريكية ، 1963 ، ج18ص 626

(6) انظر: دائرة المعارف البريطانية ،1869ج15ص542

(7) الحلة السيراء ج 2 ص319

(8)الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع، ص31

(9) نفح الطيب ج4ص472

10) أعمال الأعلام ، ص275

(11) الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع، ص 31

(12) اختصار القدح المعلى ص 28

(13) انظر : (ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ج1ص123 ترجمة 307، وكذلك السيوطي : بغية الوعاة ص 383،)

(14) انظر : الذيل والتكملة ج6 ص439

(15) انظر ترجمته في : المغرب لابن سعيد ج2 ص363 . 364، والقدح المعلى ص42.52، وتحفة القادم ص145.150، والإحاطة ج1 ص179- 186 ، والديباج المذهب ص46. 47. وأبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي ،حياته وآثاره ، لمحمد بن شريفه ، الرباط جامعة محمد الخامس ،1965م

(16) المراكشي: الذيل والتكملة / بقية السفر الرابع ص31، وانظر: نجاة باشا: التجارة في المغرب من القرن (..) للقرن الثامن للهجرة ص108

(17) ابن خلدون : العبر 698/6

18) انظر ابن سعيد المغرب ح2 ص469

19) الذيل والتكملة بقية السفر الرابع ص31-32

(20) توجد قطعة من هذا الكتاب مخطوطة من مخطوطات مكتبة الإسكوريال تحت رقم (520 د) كما يشير محمد بن شريفة في كتابه: أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي ص323وص313

(21) الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع ص31.

(22) الحلة السيراء ج2 ص320

(23) من جزيرة شقر الأندلسية ، رحل إلى منورقة عند أميرها سعيد بن الحكم سنة 641هـ، بعد سقوط مدينة شاطبة بيد الإسبان، وصار ابن يامن من أشهر كتاب سعيد بن الحكم ، ومن الشعراء المقربين إليه ، وبعد أن أقام مدة طويلة في منورقة ، غادرها إلى تونس، وبقي على تواصل مع أميرها ابن الحكم، يراسله ويمدحه، وهو القائل:

لأُرْسِلَنَّ قَوْلَةً تأْثُرُها عنّي الأُمَمْ
وتَغْتدي مقبولةً ما بين عُرْبٍ وَعَجَمْ
أُقْسِمُ بالله العَظيمِ وَهْوَ أَعْظَمُ القَسَمْ
مَا أَبْدَتِ الدُّنْيا لنا مِثْلَ سعيدِ بنِ الحَكَمْ

توفي في تونس سنة661هـ، انظر ترجمته في: اختصار القدح ص 53 - 59، والذيل والتكملة ص513

(24) شاعر وكاتب ومؤرخ، ولد ببلنسية سنة 595هـ، ونشأ فيها ، وصار كاتبا لأميرها أبي عبدالله الموحدي ، وتولى القضاء في مدينة دانية، وعندما سقطت مدينة بلنسية ، رحل إلى تونس واستقر بها واتصل بسعيد بن الحكم ومدحه وقتل سنة 658هـ، (انظر ترجمته في: اختصار القدح ص 191-195 ، أزهار الرياض ج3 ص204، عنوان الدراية ص187، وفوات الوفيات ج2، ص283، والمغرب ج2 ص 309، تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ ج6 ص210)

(25)من جزيرة (شُقُر) ولد فيها سنة 580هـ، ونشأ في مدينة بلنسية، ارتحل في طلب العلم، ثم عاد إلى مدينته بلنسية ، وتولى القضاء في مدينة شاطبة ، ثم جزيرة ميورقة ، ثم ذهب إلى المغرب ، وتولى القضاء في بعض المدن المغربية ، واستقر أخيرا في تونس، وتوفي سنة 658هـ، وقد راسل الأمير سعيد بن الحكم ، بعد أن ناشده لإطلاق سراح إحدى أخواته، التي وقعت في الأسر مع أبنائها في أوريولة ، بعد أن استولى خايمي الأول ملك قطلونية عليها ، فأمر سعيد بن الحكم جنوده بالتوجه إلى ساحل قطلونية بإنقاذ الأسرى ، فعادوا بهم إلى منورقة ، ثم نقلتهم سفينة من منورقة إلى بجاية ، وكان ذلك سببا في تقدير أبي المطرف بن عميرة لهذا الأمير ، فخصه بقصائده ورسائله الشعرية، تقديرا واحترما له،(انظر ترجمته في: المغرب لابن سعيد ج2 ص363 . 364، والقدح المعلى ص52.42، وتحفة القادم ص150.145، والإحاطة ج1 ص186.179، والديباج المذهب ص46. 47. وأبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، لمحمد بن شريفه، الرباط جامعة محمد الخامس، 1965م)

(26)، ولد بإشبيلية نحو سنة 607هـ، يعرف بابن سهل إليهودي أو الإسرائيلي، ثم أسلم، وأصبح يدعى بابن سهل الإشبيلي، رحل إلى منورقة سنة 641هـ، وأقام في بلاط سعيد بن الحكم ومدحه، بقصائد وموشحة، ثم ترك منورقة إلى تونس، وركب سفينة رومية، ولكن مركبا حربيا روميا

اعترضه، وهاجم السفينة التي تحمل ابن سهل، فلما علم ابن الحكم بذلك، توجه إلى البحر، وأنقذه منهم، وعاد إلى منورقة ولم يسافر، وفي عام 642هـ، رحل إلى سبتة، وكانت وفاته سنة 643هـ (انظر ترجمته في:المغرب ج1ص264. 265، القدح المعلى ص35.29، الأعلام للزركلي ج1 ص36-42)

(**27**) عالم وشاعر ومؤرخ، ولد بقلعة يحصب قرب غرناطة سنة 610هـ، ونشأ في غرناطة، ثم رحل إلى المشرق، طلبا للعلم، فزار مصر والشام والعراق وتوفي بتونس، وقيل بدمشق سنة 685هـ، وقد اتصل بسعيد بن الحكم، وكانت بينهما مراسلات شعرية، له عدة مؤلفات منها المغرب في حلى المغرب والمرقصات والمطربات والغصون اليانعة والقدح المعلى واختصاره،. (انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج5 ص26)

(**28**) هو أبو عبدالله محمد بن خطاب الهنتاني الجياني، كان من حفاظ الدولة الموحدية، ثم صار من رجالات دولة بني الأحمر وتقلد خطتي السيف والقلم عند أبي عبد الله محمد بن الأحمر أول سلاطين بني الأحمر في غرناطة، هاجر إلى تونس واستقر عند الحفصيين، ثم اتصل بسعيد بن الحكم ومدحه. انظر ترجمته وأخباره في: اختصار القدح ص (22-27)

(**29**)من إشبيلية واستوطن منورقة ، وكان شاعرا وأديبا وله مصنفات عدة، منها :"الفوائد المتخيرة من رواية المشيخة العشرة "، وقد ألف هذا الكتاب في جزيرة منورقة سنة 655هـ /1257م، وله كتاب (النزهة) وسماه (إيثار النقل لآثار الفضل) و"إشعار الأنام بأشعار المنام" و(لمح السحر)، سكن ابن الجلاب في منورقة واستقر بها في كنف أميرها ابن الحكم بعد أن وصلها سنة 653هـ/1255م، وكان من المقربين إلىإليه، ومن أخص جلسائه، وأقربهم إلى قلبه، وقد رفع جميع ما ألف من كتب إلى الأمير سعيد بن الحكم، قتله الروم في البحر بعد أن تغلبوا على مركبه، فاستشهد على أيديهم سنة 664هـ. (انظر ترجمته في: الذيل والتكملة الجزء السادس ص 54.52 ترجمة رقم 102، واختصار القدح ص31)

(**30**) طبيب وأديب وشاعر، كان مولعا بشرب الخمر، ومعظم شعره في الخمريات، والغزل، انتقل من إشبيلية إلى منورقة، في بلاط سعيد بن الحكم وبقي على عادته، مدح أميرها، ومات مقتولا في جلسة شراب كما يشير ابن سعيد. (انظر أخباره في: اختصار القدح ص180.179)

(**31**) اختصار القدح المعلى ص 28

(**32**) لمح السحر ص217

(**33**) اختصار القدح المعلى ص 39

(**34**) اختصار القدح المعلى ص 31

(**35**) الحلة السيراء ج2 ص320

(**36**) اختصار القدح المعلى ص 22، وانظر : لمح السحر ص281

(**37**) اختصار القدح المعلى ص 39

(**38**)اختصار القدح المعلى ص30

(**39**) لمح السحر ص200

(**40**) ابن الأبار ، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت ، ط1 ، 1989م ،ص 333

(**41**) ديوان ابن الأبار، ص491

(**42**) الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ص32

(**43**) الذيل والتكملة السفر الرابع /32

(44) د. محمد مجيد السعيد ، الشعر في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت لبنان ، ص 272.
(45) انظر ج3 ص167
(46) أزهار الرياض ج2 ص291
(47) اختصار القدح ص32
(48)الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع ، ص33
(49) الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع،ص 33
(50) الذيل والتكملة السفر 32/4
(51) اختصار القدح ص 180
52) تجدر الاشارة هنا الى قصته مع عالم الحديث عبد الملك بن أحمد بن عبدالله بن طاهر بن حيدرة بن مفوّز ، الذي أقام في جزيرة منورقة في بلاط سعيد بن الحكم،فترة من الزمن ، ثم ترك منورقة وهاجر إلى تونس، ويشير لسان الدين بن الخطيب إلى أسباب تركه لمنورقة فيقول : "حدثني الشيخ السري أبو الحسين التلمساني ، وكان عمه أبو عبد الله السري كاتبا لسعيد بن الحكم بمنورقة، قال : كان من سيرته أن يقتل الناس عقابا على شرب الخمرة، وكان قد اجتلب المحدث ابن مفوّز للرواية عنه ، وسماع كتاب البخاري عليه، واغتنم ذلك لبنيه قال: فبينما ابن مفوز يقرأ ، إذ أُتِيَ برجل قد شرب الخمر ، فأمر ، فضربت عنقه. قال: فطوى ابن مفوز الكتاب ، وحلف أن لا يسمع عليه من حديث ، وقال: حفظك الله تطلب رواية السنة وتصححها ، وتتعدى حدود الله هكذا ، والله لا سمعت مني حرفا أبدا. فقال له الرئيس سعيد بن الحكم : يا فقيه ، هذه الجزيرة كثيرة العنب ، والناس يشربون الخمر بها، ويسكرون ، فيضيعون الاحتراس ، فيظهر علينا العدو . فقال له ابن مفوز :هذا شيء لا يخلص عند الله، لم تترك الشريعة شيئا من موازين صلاح الدنيا والآخرة إلا أعطته حقه ، وانصرف عنه(انظر اعمال الاعلام ص256)
(53) اختصار القدح ص180
(54) المغرب ج2 ص469
(55) الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع ،ص67
(56) اختصار القدح ، ص29
(57) جمعة شيخة ، الحياة الفكرية والأدبية بالجزائر الشرقية في القرنين 5،6 هـ، أعمال الملتقى الرابع الإسباني التونسي ، ص49 .88
(58) الحلة السيراء،ج2 ص320
(59) الذيل والتكملة السفر الرابع، ص30
(60) حول الإجازات العلمية في الأندلس، انظر: د. خالد الخلفات، أدب الإجازات العلمية في الأندلس، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، العدد 4، المجلد 5، تشرين الأول 2009م،(ص 201 – 216)
(61) هو المنصور بن الناصر بن علناس، كان ملك الجزائر في القرن الخامس الهجري، في فترة حكم ملوك الطوائف للأندلس، وكان حليفا لبني صمادح في مدينة المرية في الأندلس.(انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص191)
(62) لمح السحر ص218
(63) ديوان ابن سهل(ط دار الغرب)، ص333
(64)ديوان ابن سهل (ط دار الغرب) ص 430

(65) ابن الأبار ، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت ، ط1 ، 1989م ،ص 333
(66) ديوان ابن الأبار، ص491
(67) لمح السحر ص259
(68) لمح السحر ص 214.215
(69) لمح السحر ص217 .
(70) المصدر نفسه ص 217
(71) الإحاطة ج2ص 249

المصادر والمراجع

1. ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن الآبار القضاعي البلنسي (ت 658هـ)
2. إعتاب الكتاب، حققه وعلق عليه وقدم له، د. صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961م.
3. ابن الآبار، تحفة القادم، تحقيق، د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1، 1986م
4. ابن الآبار... التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبدالسلام الهراش، ط1، دار الفكر، بيروت 1995، والتكملة طبعه عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، مصر 1956.
5. ابن الآبار.... الحلة السِّيَراء، حققه وعلق حواشيه، د. حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط2، 1985 م.
6. ابن الأبار ... ديوان ابن الأبار، قراءة وتعليق: الأستاذ عبد السلام الهراس، دار الغرب الإسلامي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1420 هـ /1999م
7. ابن الآبار...المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، أبو علي حسين بن محمد(ت594هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989م .
8. ابن الآبار...المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1989 .
9. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسيني(ت 560 هـ): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989م.
10. أشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، رقمه ووضع حواشيه محمد عبدالله عنان، بعناية مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1958 .
11. الإشبيلي، إبراهيم بن سهل (ت643هـ): ديوان إبراهيم بن سهل، حققه ورتبه د. محمد فرج غنيم، دار الغرب الإسلامي، 1998م
12. الإشبيلي، إبراهيم بن سهل (ت643هـ)، ديوان ابن سهل الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
13. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739هـ): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1954م
14. حسين، عبد الرزاق: الأدب العربي في جزر البليار، دار الجليل، عمان، 1994م .
15. الحموي، ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ)، معجم الأدباء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، .198م .
16. الحموي، ياقوت... معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979 .
17. الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم ، (ت866هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، م1975

18. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 866هـ): صفة جزيرة الأندلس(منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار)، نشر وتحقيق: ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 2، 1988م .
19. ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي(ت 367هـ): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت) .
20. ابن خُرْدَاذْبَهْ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 280هـم): المسالك والممالك، ليْدَن، مطبعة بربل، 1889م .
21. ابن خلدون، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1968م
22. ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن، (ت 633هـ)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي، مراجعة، د. طه حسين، دار العلم للجميع (د.ت).
23. الزركلي، خير الدين: الأعلام، بيروت ، دار العلم للملايين، 1980م
24. الزهري، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر(المتوفى في أواسط القرن السادس الهجري)، كتاب الجغرافية، اعتنى بتحقيقه، محمد حاج صادق .
25. السعيد، محمد مجيد: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، دار الرشيد للنشر، 1980م.
26. ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبدالملك، (ت685هـ)، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، اختصره أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن خليل، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، بيروت 1985 .
27. ابن سعيد...إعتاب الكتاب، تحقيق: صالح الأشتر، ط2، دار الأوزاعي، بيروت1986
28. ابن سعيد...المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)
29. سيسالم، عصام سالم: جزر الأندلس المنسية(التاريخ الإسلامي لجزر البليار)، دار العلم للملايـــين، بيروت، ط 1، 1984
30. السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن (ت 911هـم)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة، 1964م .
31. الشريف الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني،(ت ق6هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989.
32. شريفة، محمد بن، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي حياته وآثاره، الرباط: المركز الجامعي للبحث العلمي بجامعة محمد الخامس، 1966م
33. صلاح الدين الصفدي ، خليل بن أيبك (ت 764هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار النشر فرانز شتاير، بفيسبادن، ط2، 1982.

34. ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري(كان حيا عام 712هـ) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين) ، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1985.

35. عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين وانهيار الأندلس، مكتبة الخانجي، بمصر.

36. الغبريني ، أحمد بن أحمد بن عبدالله (ت 714هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، بيروت، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر،1969م

37. أبو الفداء. عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732هـ): تقويم البلدان، دار. صادر، بيروت، (د.ت).

38. ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي المالكي(ت799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور،دار التراث، القاهرة،(د،ت)

39. ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ(ت 1012/403م) تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1966م .

40. فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي ،دار العلم للملايين، بيروت،1983، ط1.

41. ابن القاضي ،أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت1025هـ)، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ،1971م

42. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ) أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر. بيروت ، (د .ت).

43. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف(ت646هـ): إنباه الرواة على أنباء النحاة،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة،ط1، 1952م.

44. الكتبـــي، محمد بن شاكر(ت 764هـ) فوات الوفيات، تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (1973).

45. لسان الدين ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 776هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي،القاهرة،ط2، 1973

46. لسان الدين بن الخطيب... تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق، ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1959

47. ابن ليون ، أبو عثمان سعيد بن أحمد بن إبراهيم بن ليّون التجيبي الأندلسي(ت664هـ)، لمح السحر من روح الشعر وروح الشِّحْر، تحقيق وتعليق، د. سعيد الأخرش ،المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط1، 2005م.

48. المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت703هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، بقية السفر الرابع تحقيق، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1964 م .

49. المراكشي ...الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، السفر الخامس، تحقيق، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965 م: الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، السفر السادس، تحقيق، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973 م
50. المقَّري، أحمد بن محمد التلمساني(ت 1041هـ): أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق، مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1939م.
51. المقَّري.... نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر ، بيروت ، ط 1 ، 1986.
52. النباهي، أبو الحسن بن الحسن النباهي المالقي التونسي، (ت ق 8هـ)، تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ت).

الدوائر والموسوعات والبحوث والمقالات

53. دائرة المعارف الإسلامية ، إصدار أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس ، مراجعة ، محمد مهدي علام ، دار الفكر ، 1980 .
54. الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل والجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، إشراف محمد شفيق غربال، 1995.
55. The Encyclopedia Americana,Incorporated Danbury, U. S. A., 1989, vol. 18, pp, 146- 147
56. Encyclopaedia of Islam, new edition, and. By B. Lewis, Ch. Pellat and Schacht, Leiden, E. J. Brill, 1983. , vol, 11, pp 111-112E
57. جمعه شيخه: «الحياة الفكرية والأدبية بالجزائر الشرقية»، في القرنين (5،6 هـ)، أعمال الملتقي الرابع الإسباني التونسي، 1983، ص (49- 108) .
58. الخلفات. خالد ، أدب الإجازات العلمية في الأندلس ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ، جامعة مؤتة ، العدد 4 المجلد 5 تشرين الأول 2009م (ص 201ـ 216)